معتقل تفلفال النسوي بالاوراس أثناء الثورة الجزائرية 1955 /1962

من خلال الرواية الشفوية وشهادات المعتقلات

د.جمعة بن زروال – جامعة باتنة –1– – الجزائر

ملخص المداخلة باللغة العربية :

تتناول هذه الورقة البحثية دور الرواية في كتابة التاريخ الشفوي للمرأة من خلال نماذج من شهادات النساء المعتقلات في السجون الفرنسية أثناء الثورة الجزائرية 1954 /1962، معتمدين في هذه الدراسة علي معتقلات سجن تفلفال النسوي بالاوراس الذي يعتبر أول معتقل للنساء في الجزائر أثناء الثورة التحريرية والذي تأسس سنة 1955 وخصص لسجن زوجات المجاهدين .

اعتمدنا في دراستنا علي عدة نقاط أهمها:

– دراسة نماذج من شهادات النساء المعتقلات مع أطفالهن في سجن تفلفال ، بسرد ظروف وأسباب الاعتقال والحياة اليومية داخل المعتقل وأساليب التعذيب الجسدية والنفسية التي تتعرض لها المعتقلات .

– استقراء بعض الشهادات لمعتقلات سجن تفلفال النسوي مثل / شهادة ذهبية عبيد الله ، وشهادة الشامخة بن رحمون ، وشهادة جمعة سليماني....أكثر من عشرين امرأة معتقلة .

– تحليل ومقارنة هذه الشهادات الشفوية بإبراز مدي مصداقيتها التاريخية من خلال الوثائق الأرشيفية والمصادر المكتوبة.

– إبراز معاناة المرأة الريفية البسيطة ومدي تحملها مسؤولية الثورة مع أخيها الرجل من اجل تحرير وطنها .

ملخص باللغة الانجليزية :

This paper deals with the role of testimony in writing the oral history of women, through models of detainees testimonies of women in French prisons during the Algerian revolution 1954/1962, Relying in this study on the detainees of Tifelfel prison in Aures which is the first prison for women in Algeria during the

revolution, which was founded in 1955 and was provided to detain the wives mujahideen.

- Definition of women's jail of Tifelfel addressing the causes and circumstances of its founding in 1955 by the French colonialism, and the motives behind its allocation to the wives of Mujahideen and rebels.

- Study models of women detainees testimonies with their children in the prison of Tifelfel, listing the circumstances and reasons for the detention and daily life inside the prison and methods of physical and psychological torture suffered by detainees.

- Extrapolate some testimonies of women detainnees in women's prison of Tifelfel Example / the testimony of Dhehbiya Obaidullah, the testimony of Achamkha Ben Rahmon, and the

testimony of Djemaa Soleimani .... More than twenty women detained.

تعد روايات المرأة الشفوية مصدر من مصادر التاريخ، باعتبارها مادة حية يعتمد عليها الباحث في تأريخ حياة المرأة المعاصرة، خاصة المرأة الريفية الأمية التي لم تتعلم بسبب الاستعمار، نتناول في هذه الدراسة التاريخ الشفوي للمرأة من خلال شهادات نساء جزائريات معتقلات أثناء الثورة التحريرية 1962/1954 من طرف الاحتلال الفرنسي ، معتمدين في بحثنا علي شهادات سجينات معتقل تفلفال النسوي بغسيرة ([1]) بجبال الاوراس([2]) في فترة 1962/1955 .

فالإشكالية المطروحة في هذا البحث تتمثل في عدة تساؤلات أهمها:

- ما دور و أهمية الرواية الشفوية للمرأة في كتابة التاريخ الوطني للشعوب ؟

- كيف كانت أوضاع وظروف النساء المعتقلات في سجن تفلفال النسوي ؟

قبل الإجابة عن هذين السؤالين يجدر بنا أن نتطرق إلي أهمية الرواية الشفوية في التأريخ لحياة المجتمعات المعاصرة بدأ الاهتمام بالمنهج الشفوي عند العرب المسلمين منذ القرون الهجرية الأولى معتمدين على منهج الإسناد بهدف تدوين الحديث الشريف والسيرة النبوية وسير أعمال الصحابة الأقربين وتاريخ الفتوحات الإسلامية، ظهر اهتمام الباحثين الأكاديميين بموضوع التاريخ الشفهي منذ النصف الثاني من القرن العشرين حيث جعلوا لدراسة الماضي خاصة حياة الأقليات والمجتمعات الفطرية التي لا تعرف الكتابة بتسجيل تاريخهم فمثلا قام " العالم الغربي المعاصر(أوربا والولايات المتحدة الأمريكية) بتجميع الشهادات الشفوية من نساء ورجال عاصروا الحرب العالمية الثانية 1939 /1945 وقد اتجهت هذه الشهادات نحو الأرشيف ومراكز التوثيق ونحو النشر كمذكرات وروايات وقصص وأفلام ليستخدمها أهل الاختصاص المحترفون فمثلا في سنة

1948 تبنت جامعة كولومبيا مشروع للتاريخ الشفهي كان يهدف في أساسه إلي جمع مذكرات لشخصيات أمريكية عامة. (3)

أما في بريطانيا فقد انصب اهتمام رواد التاريخ الشفوي في الخمسينات و الستينات بتسجيل خبرات الطبقة العاملة البسيطة ، فأنشأ عدد كبير من المؤرخين الاجتماعيين ببريطانيا والعالم جمعية التاريخ الشفهي البريطاني في بداية السبعينات ضمن الوسط الأكاديمي الجامعي، أما في جنوب إفريقيا فقد قامت لجنة الحقيقة للمصالحة التي أنشئت بعد إلغاء قانون التمييز العنصري بجمع الشهادات الشفوية لضحايا العنف النسوي وكل خرق لحقوق الإنسان. وتم عقد مؤتمرات ولقاءات دولية حول التاريخ الشفوي منها مؤتمر العلوم التاريخية في مدينة بوخارست في رومانيا 1980 بمشاركة مؤرخين من أنحاء العالم وقد نظم هذا المؤتمر من طرف اللجنة الدولية للعلوم التاريخية ونشرت أعماله في ثلاثة مجلدات بدعم مالي من منظمة اليونسكو، وتم عقد مؤتمر بمدينة أكسفورد بإنجلترا عام 1987 وتقرر في هذا المؤتمر عقد اجتماعات نصف سنوية لمناقشة التاريخ الشفوي. واللقاء الدولي الذي عقد في اسطنبول عام 2000 واللقاء الذي عقد في جامعة نتال بجنوب إفريقيا عام 2002 والمؤتمر الذي عقد في الجامعة الإسلامية في فلسطين عام

2006، فهذه المؤتمرات ساهمت في تشجيع استعمال التاريخ الشفوي في الأبحاث الأكاديمية في العلوم الإنسانية .[4]

في هذا البحث سنتطرق لشهادات النساء المعتقلات في السجون الفرنسية أثناء الثورة التحريرية، حيث كان للمرأة الجزائرية منذ الاحتلال الفرنسي دور في النضال الثوري لمواجهة الاستعمار بمشاركتها في المقاومات الشعبية مثل / انتفاضة لالا فاطمة نسومر([5]) في منطقة جبال جرجرة بالقبائل 1851/ 1857 التي واجهت جنرالات فرنسا للدفاع عن الوطن والدين والشرف ، وساهمت المرأة في تموين الثورات الشعبية وكانت القاعدة الخلفية للثوار إذ كانت تزودهم بالمؤن والغذاء وبالأدوية والتطبيب والحراسة ونقل الأخبار ...

بعد اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية 1962/1954 توسع نشاط ونضال المرأة وتوزع مابين المدينة والريف فمنطقة الاوراس كانت أولي المناطق في الجزائر التي اندلعت فيها الثورة التحريرية ، بتعيين مصطفي بن بولعيد ([6]) على رأس المنطقة الأولى "الأوراس" والذي وضع النواة الأولى لجيش التحرير الوطني،

وقسم جيشه إلى تسعة وثلاثين فوجا شاركوا كلهم في تفجير ليلة أول نوفمبر 1954 إذ نجح ثلاثة وثلاثون فوجا في أداء مهامهم، وكان جيش المنطقة الأولى يضم بين 1000 و1500 رجل يملكون من سلاح ست بنادق ورشاش، وهذا الجيش مسلح بنسبة 75% سلاح صيد .

في صيف 1954 أمر مصطفى بن بولعيد أعضاء المنظمة السرية أن يستخرجوا السلاح من مطامر القرية الحجاج بديار عزوي ومسجد اينركب بآريس الذي جمع فيها منذ 1948م[7]، ليتم توزيعه ابتداء من يوم 08 أكتوبر 1954م على خمس مراحل:

المرحلة الأولى: تكفل مصطفى بن بولعيد وشيحاني بشير وبعزي لخضر بحمل كمية من الأسلحة إلى تيزي وزو.

المرحلة الثانية: نقلت شاحنة أسلحة إلى ذراع ميزان بالقبائل، تكفل بها بن بولعيد وشيحاني.

المرحلة الثالثة: نقلت شاحنة أسلحة إلى بريكة.

المرحلة الرابعة: في يوم 12 أكتوبر 1954 أخذ عمار معاش 45 بندقية من قرية الحجاج.

المرحلة الخامسة: ليلة 21 أكتوبر 1954وزع السلاح على مناضلي قرى الأوراس[8]، وقد عمت الثورة جميع النواحي، وكانت قواتها العسكرية تتكون من 1500 إلى 2000 مجاهد بالإضافة إلي وجود 3000 رجل احتياطي تحت تصرف جيش التحرير الوطني[9].

في ليلة منتصف الاثنين أول نوفمبر1954 حدد موعد انطلاق الثورة المسلحة[10]، وتعهد مصطفى بن بولعيد على أن تصمد منطقة الأوراس ل8 أو10 أشهر حتى تنتشر الثورة في كامل ربوع الوطن، وقد اتجهت الأفواج المجمعة قبل الفاتح من نوفمبر، وكان عددهم يفوق 350 مجاهدا،نحو باتنة، بسكرة، سريانة، إشمول، عين لقصر، وخنشلة[11].

بادر "مصطفي بن بولعيد" بتعيين القيادة العامة مباشرة بعد توزيع الطلائع الأولى على أهدافها ليضع الجميع أمام مسؤولياتهم، وكان اختياره لشيحاني

بشير ليغطي الجوانب الثقافية والسياسية كنائب أول له، واختياره عباس لغرور وعاجل عجول ليحقق الفعالية في ميادين التنظيم والتجنيد، حيث أن بن بولعيد لم يخطئ في اختيار هؤلاء النواب الثلاثة الذين كانوا بحق قيادة متكاملة على أصعب مرحلة و أنجحها في نفس الوقت، وبذلك سميت المرحلة الذهبية للأوراس التي غطت السنوات الأولى للثورة من 1954الي1956 [12].

اعتبر الاستعمار الفرنسي منطقة الاوراس من المناطق المحرمة وطبقت عليه عدة قوانيين استثنائية كقانون حالة الطوارئ الذي صدر في03 افريل 1955 ،وأصدرت عدة مراسيم مثل مرسوم 26 سبتمبر 1955 الخاص بإنشاء مراكز للمصالح الإدارية المتخصصة

SECTION ADMINISTRATIVES SPECIALISEES

في الأرياف تعرف باسم (SAS) وتعد منطقة الاوراس أولي المناطق في الجزائر التي أنشأت فيها هذه المؤسسات وهي عبارة عن تنظيمات شبه عسكرية تعمل في إطار العمل المزدوج الاجتماعي والسيكولوجي ولاستخباراتي للجيش الفرنسي المتخصص في عملية التهدئة في القرى والأرياف ([13])، فقد فكانت بمثابة أداة

أساسية في الحرب تسعى إلى إحصاء كل السكان لضبط عدد المتهمين والأبرياء([14]) ومن بين مناطق الاوراس التي أسست فيها هذه المراكز العسكرية الفرنسية قرية تفلفال بغسيرة التي انشأ فيها مركز للمصالح الإدارية المتخصصة وبجانبه معتقل تفلفال النسوي .

1- أسباب وظروف تأسيس معتقل تفلفال النسوي 1955 / 1962:

يعتبر معتقل تفلفال النسوي أول سجن فريد من نوعه في تاريخ الثورة الجزائرية أنشأته فرنسا لنساء المجاهدين الثوار الأوائل الذين فجروا الثورة في منطقة جنوب الاوراس لمنعهن من الاتصال بأزواجهن و لتهديد الثوار بنسائهم و أبنائهم وبسبب العمليات العسكرية المكثفة للمجاهدين ، تأسس المعتقل في شهر أوت 1955 ([15]) من طرف الجيش الفرنسي وهو عبارة عن ساحة صغيرة مغلقة تحتوي علي غرف وضعت فيها نساء المجاهدين مع أطفالهن من عدة مناطق من قري غسيرة ومن أوائل سجينات هذا المعتقل في سنتي 1956/1955 :

- ذهبية عبيد الله زوجة المجاهد مخلوف عبيد الله وابنتها الصغيرة زكية عمرها ثلاث سنوات .

- جمعة سليماني زوجة موسي سليماني .

- فاطمة بلعايش زوجة علي بن الحاج بن جديدي ([16])وولداها بن جديدي فطيمة أربع سنوات ومحمد سنتان ([17]).

- فاطمة زغدود زوجة بن سي عمر الطيب.

- فاطمة بن زروال زوجة عثمان بن عمر .

- همامة بن زروال زوجة عمار بن الصادق بن جديدي.

- عائشة مفتاح زوجة عبد السلام مفتاح وبنتيها حدة وفاطمة مفتاح ([18]).

- زوجة السبتي وزاني بن الطيب .

- زوجة إبراهيم بن العجمي .

- زوجة خذري محمد امزيان .

- زوجة يحي احمد.

- زوجة خذري عمار بن عجول .

- زوجة الهاشمي مزياني .

- زوجة محمد الصالح بن سالم ....([19])

2- نماذج من شهادات النساء المعتقلات:

اعتمدنا في دراستنا الميدانية علي شهادات بعض المعتقلات كنموذج لهذا البحث من خلال الروايات الشفوية التي أدلت بها بعض الأسيرات عبر اللقاءات المباشرة والمسجلة والمصورة ، ومن أهم هذه الشهادات التي استطعنا أن نلتقي معها :

1/ شهادة المعتقلة ذهبية عبيد الله :

تعتبر السيدة ذهبية عبيد الله ([20]) احدي المعتقلات الأوائل التي زج بهن في سجن تفلفال النسوي ، والذي دخلته بعد فتحه في شهر أوت 1955 إذ تقول في موضوع اعتقالها " ... في أواخر صيف 1955هجمت مجموعة من الجيش الفرنسي علي منزلي الكائن بقرية كاف العروس بغسيرة ، وأخذت عنوة مع ابنتي الصغيرة زكية إلي قرية تفلفال وتم وضعنا في السجن مع مجموعة كبيرة من النساء حوالي أربعين امرأة كان ذنبنا الوحيد أننا زوجات مجاهدين ثوار ضد الاحتلال الفرنسي وكان عمري في تلك الفترة يقارب مابين 14 إلي 15 سنة ".

تقول الشاهدة ذهبية عن ظروف حياتهم داخل المعتقل " يتكون المعتقل من ساحة صغيرة مغلقة ومن عدة غرف يمنع خروج النساء والأطفال منها وتحت

حراسة مشددة من طرف الجيش الفرنسي وفرق الحركي([21]) واللفيف الأجنبي ([22]) ، وكانت تمنع علينا الزيارة من طرف أهالينا الذين كانوا يزودوننا بالغذاء والمئونة والذي يتكون من دقيق القمح والشعير والتمر ويقوم وقاف القرية بتقسيم المئونة علي النساء المعتقلات ، وكنا نطبخ في مجموعات في ساحة المعتقل ونزود بمياه للشرب عبر صهريج يوضع في الساحة ولا يسمح لنا بالاتصال بأهالينا طيلة فترة الاعتقال

وتسترسل الشاهدة ذهبية عبيد الله بقولهاعن موقف الثوار من اعتقال زوجات المجاهدين " .. لما سمع مجاهدو جيش التحرير الوطني باعتقال بعض النساء والأطفال من أبناء منطقة غسيرة قرر قائد المنطقة المجاهد محمد بن مسعود بلقاسمي ونائبه المجاهد علي بن جديدي والمجاهد مخلوف عبيد الله الذي اعتقلت فرنسا زوجاتهم وأطفالهم، ففي شهر أكتوبر شن المجاهدون هجوما بعد صلاة المغرب علي مركز الشؤؤن الإدارية المتخصصة لاصاص بتفلفال وكانت حصيلة هذا الهجوم مقتل ضابطين فرنسيين احدهما برتبة ملازم وثلاثة عشر جنديا وذلك أثناء إنزال العلم الفرنسي في المساء ولكن النساء لم يستطعن الفرار من المعتقل بسبب صغر سن أطفالهن ."

وعن ردة فعل القوات الفرنسية علي هذا الهجوم تقول الشاهدة ذهبية عبيد الله " ... كان رد فعل الجيش الفرنسي في نفس الليلة وبعد العملية استنجاد بتعزيزات عسكرية من فرق الحركي واللفيف الأجنبي من منطقة تكوت واريس وقام بالهجوم علي معتقل النساء بالخناجر والأسلحة كالبنادق ، فأرادو الانتقام من الثوار بذبح أطفالهم فوجدو عددهم يفوق اثني عشر طفلا ، فقرروا في النهاية وضع قنبلة فوق غرفة الأسيرات وتم تفجيرها في منتصف الليل فتم تدمير الغرفة علي مجموعة كبيرة من النسوة مع أطفالهن

كانت نسبة الخسائر كبيرة وتمثلت في :

– استشهاد فاطمة بلعايش زوجة المجاهد علي بن جديدي وولديها بن جديدي فطيمة وبن جديدي محمد .

– استشهاد مفتاح عائشة بنت عمر وبنتاها ، مفتاح حدة بنت عبد السلام ومفتاح فاطمة بنت عبد السلام .

– استشهاد يمينة وزاني ابنة السبتي .

– استشهاد رقية صايغي ابنة علي بن عمار ، وتم دفنهن جماعيا بردمهن في حفرة .

وكرد فعل علي الهجوم حرق الجيش الفرنسي سكنات ومنازل المجاهدين كمنزل بن جديدي علي ودار بلقاسمي بوبكر وبلقاسمي احمد والطيب ..... وقلع أشجار النخيل العائدة لعائلة بلقاسمي محمد بن المسعود قائد الهجوم ونائبه علي بن جديدي وأشجار عائلة عمار بن جديدي بن الصادق ...ونهب حلي النساء من الفضة وبعض المواشي لبعض سكان تفلفال "

وتذكر الشاهدة ذهبية عن النساء المعتقلات " بعد سقوط الغرفة تم تحويل النساء إلي سجن أخر والذي مكثنا فيه مدة عام إلي غاية أكتوبر 1956 ."([23])

2/ شهادة المعتقلة جمعة سليماني :

المعتقلة جمعة سليماني من مواليد قرية كاف لعروس عرش أولاد يحي بغسيرة تزوجت بابن عمها المجاهد موسي سليماني ، اعتقلت من منزلها بكاف لعروس ووضعت بسجن تفلفال النسوي في أواخر صيف 1955بسبب انضمام زوجها للثورة التحريرية الجزائرية ، إذ تقول الشاهدة عن ظروف حياتها داخل المعتقل "..كنا نتعرض للضرب والتعذيب والتهديد بالسلاح الأبيض لقد

قضيت في المعتقل مدة عامين لا يسمح لنا الاتصال بأهالينا ونتعرض لأبشع أنواع الاهانة والتعذيب النفسي والجسدي "[24]

3/ شهادة المعتقلة الشامخة بن رحمون :

الشامخة بن رحمون هي زوجة المجاهد بن رحمون محمد اعتقلت في سجن تفلفال لمدة سنتين من 1956 إلي 1958 إذ تروي في شهادتها عن حياتها في المعتقل " ..كان المعتقل يستقبل حوالي 300مئة امرأة من نساء المجاهدين اللواتي خضعن للإقامة الجبرية في السجن ابتداء من الساعة الخامسة إلي غاية الساعة السابعة صباحا ، لتعود النسوة إلي بيوتهن في الصباح لترعي شؤون البيت من طبخ وزراعة ورعي ... وفي المساء يذهبن إلي المعتقل ففي كل ليلة علي الساعة العاشرة يأتي الضباط الفرنسيون لإحصاء عدد النسوة المتواجدات في المعتقل ، وكنا في الليل نفترش أكوام من القش وبعض الأغطية الرثة وكانت حياتنا جد صعبة في المعتقل "([25]

3- الآثار الجسدية والنفسية علي النساء المعتقلات:

حسب شهادات النساء الأسيرات فان السنوات التي قضتها هؤلاء النسوة في المعتقل خلفت عدة أثار جسدية ونفسية علي حياتهن والتي مازالت آلامها إلي غاية الفترة المعاصرة بسبب المعاناة التي عايشنها في المعتقل والتي تنقسم إلي مايلي :

1/ الآثار الجسدية :

تعرضت المراة المعتقلة إلي الضرب والاغتصاب من طرف الجيش الفرنسي ومن طرف جنود اللفيف الأجنبي إذ تذكر الشاهدة فاطمة زغدودي في روايتها عن حياتها في المعتقل " .. دخلت إلي المعتقل مع ابني الصغير وكنا نتعرض للضرب الجسدي والتهديد بالسلاح الأبيض ، إذ أصبت في احدي قدمي بعدة جروح والتي مازلت أعاني من أثارها وسببت لي بطء في المشي والحركة" [26]) ، أما المعتقلة ذهبية عبيد الله فتذكر في شهادتها " لقد تعرضت في المعتقل إلي الضرب من طرف الحركي و بعد تفجير القنبلة جرحت مع ابنتي زكية وانتشلت من الردم الذي سقط علي كتفي إذ جرحت من الظهر والكتف والفخذ والتي مازالت أثارها بارزة علي شكل ندابات ، أما ابنتي زكية ثلاث سنوات فقد جرحت في رأسها وبقيت تعاني من أثار جروحها إلي غاية وفاتها "

أما عن حالات الاغتصاب التي تعرضت لها النساء المعتقلات في سجن تفلفال في فترة 56/55 فتذكر الشاهدة ذهبية عبيد الله " .. يتم اغتصاب النساء في كل ليلة من طرف جنود اللفيف الأجنبي باختيار مجموعة من النسوة اللواتي ليس لهن أطفال صغار ويحولن إلي أمكنة خاصة ، أما النساء اللواتي لهن أطفال فيقمن بضرب ووخز أطفالهن لكي لا يقترب إليهن الجنود ولإثارة الانتباه و الفوضى في السجن وهناك معتقلة تم اختطافها من السجن من طرف مسؤول ضابط لاصاص ونقلها إلي المركز وهي السيدة العطرة يخلف زوجة المجاهد بشير تابليت التي ظلت أسيرة في المركز لدي الفرنسيين من صيف 1956 إلي نهاية سنة 1959 ([27]) ، وبسبب شكاوي النساء المعتقلات من اعتداءات بعض الجنود علي نساء المجاهدين وبتعاون مع أهالي المعتقلات قرر ضباط الجيش الفرنسي وضع حراس من السكان المدنيين في المعتقل لحراسة النساء وهما : زروال الصادق وهنداوي رمضان وامرأتان هما : علجية عثماني ومنصورة زروال ([28]) وبهذا توقفت اعتداءات الجنود علي النساء الأسيرات .

2/ الآثار النفسية :

إن الحديث عن الآثار النفسية الناجمة عن التعذيب الجسدي والاغتصاب للنساء المعتقلات في سجن تفلفال ليس بالأمر الهين بسبب غياب الدراسات الميدانية المتخصصة والوثائق الأرشيفية ، وعزوف اغلب النساء عن الإدلاء بشهاداتهن عن الأوضاع التي عايشنها في هذا المعتقل بسبب حساسية الموضوع ،خاصة بالنسبة للمرأة الريفية المحافظة وبسبب العادات والتقاليد التي تمنع التصريح بتلك الأفعال .

فمن خلال استقرائنا لشهادات بعض النساء المعتقلات نلاحظ أن نسبة كبيرة منهن تأثرن نفسيا بما وقع لهن في المعتقل من اعتداءات وتعذيب .

فمثلا تذكر المعتقلة جمعة سليماني في شهادتها "...عندما أتذكر سنوات الاعتقال في سجن تفلفال ارتعش من الخوف وابكي ولا استطيع القيام بأعمال شؤون بيتي اليومية ،وفي بعض الفترات تنتابني كوابيس وعندما أمر بالسيارة علي منطقة تفلفال أغمض عيني لكي لا أري هذه القرية لأنها تذكرني بسنوات المعتقل القاسية ..." ([29])

أما السيدة فاطمة زغدودي فتذكر في شهادتها عن سنوات الأسر " ..مازلت إلي يومنا الحاضر أعاني من عدة أثار نفسية بسبب الاعتقال كالخوف

الدائم من الليل ، وخوفها من نور المصباح لأنه يذكرها بهجومات المجندين الفرنسيين وفرق اللفيف الأجنبي علي المعتقل كل ليلة لتخويفهن والاعتداء عليهن بالتهديد والضرب " ([30])

في شهادة السيدة ذهبية عبيد الله التي تحدثت عن الآثار النفسية إذ تقول " ..عندما أتذكر فترة الاعتقال تنتابني نوبات تسارع مفاجئة وخفقان في القلب وتصلب عضلي وحالة ارتعاش، وهي نوع من الآثار النفسية الجسدية " ([31]

4- تحليل ومقارنة الشهادات الشفوية من خلال الوثائق الأرشيفية والمصادر المكتوبة:

تعتبر الشهادات الشفوية مصدرا من مصادر التاريخ الإنساني لأنها تؤرخ لحياة الأمم والشعوب ، كحياة المرأة في السجون والمعتقلات الاستعمارية أثناء فترة الثورة الجزائرية ، وتعد مادة تساعد علي كتابة التاريخ إلا أن هذه الشهادات الشفوية ليست مطلقة ، إذ يجب علي الباحث أن يعرضها للنقد والتحليل والمقارنة ويتمثل ذلك عبر النقاط التالية :

– إن الرواية الشفوية تعد مصدرا ثانويا في حالة وجود الوثيقة ومصدرا أساسيا عند انعدام الوثائق الأرشيفية والمصادر المكتوبة فعلي الباحث أن يعتمد علي النقد والتحليل في استقرائه للشهادات نظرا لوجود ارتفاع في نسبة الذاتية في الرواية الشفوية.

– علي المؤرخ أن يعتمد علي المصادر الأرشيفية ويقارنها مع الروايات الشفوية لان الأرشيف ثابت والرواية تتغير أحداثها من شخص إلي أخر بالإضافة إلي دور عامل الزمن والسن للراوي.

– يجب علي الباحث أن يحلل أحداث الروايات الشفوية ويقارنها ببعضها البعض ولا يعتمد علي رواية واحدة في دراسته.

– إن الرواية الشفوية لها القدرة علي سد الثغرات والإجابة عن الأسئلة التي لم تذكرها الوثائق ، إذ تساهم الرواية في استنطاق المسكوت عنه وإثارة بعض القضايا المحظورة مثل / التعذيب ، الاختطاف ، الاغتصاب ، الاغتيالات ....

إن الرواية الشفوية رغم أهميتها وقيمتها التي تكشف عن الكثير من الحقائق، إلا أنه يجب على الباحث أن يسلك أسلوب علمي في التحقق من صحة الرواية ونسبتها إلي صاحبها(31)، من أجل التثبت من صحة الروايات

المنقولة شفويا ومطابقتها مع الواقع الذي تتحدث عنه خاصة أننا نواجه في الرواية الشفوية مزاج الراوي وعواطفه وميوله وتحزبه التي تبعدنا عن الحقيقة أحيانا .

الهوامش والإحالات :

1) غسيرة : تقع بلدية غسيرة بولاية باتنة بالاوراس الجزائر تتكون من عدة قرى أهمها : تفلفال ، مسعودة ، أولاد بوعكاز ، تاحمامات ، أولاد هلال أولاد إدير، أولاد عابد ، تابعليت ، حيزة (شرفة) ، أولاد فاتح ، أولاد ورياش غوفي ، أولاد ميمون، كاف لعروس .

2) الاوراس : تقع جبال الاوراس في سلسلة الأطلس الصحراوي شرق الجزائر والتي يفوق علو قمم جبالها عن 1800م أهمها جبال شليا والتي توجد بها اعلي قمة جبلية في شمال الجزائر – قمة كلثوم – والتي يقدر ارتفاعها ب 2328م ،وجبال المحمل التي يقدر علو قممها ب 2321م ، وجبال احمر خدو تقدر ب 1975م وجبال بوعريف 1646م وجبل الازرق يقدر علوه ب 2172م ومرتفعات انوغيسن واريس، تشرف هذه الجبال في الشمال علي مدينة تيمقاد و الجنوب علي منطقة سيدي عقبة وخنقة سيدي ناجي وزريبة الواد ، يرجع أصل سكان الاوراس إلى الجيتول والليبيون . ثم شهدت المنطقة عدة هجرات مشرقية كالفينقيين اذ يرجع المؤرخون العرب أصل السكان إلى

المشرق، كاالمؤرخ العربي ابن خلدون الذي ينسبهم إلى مازيغ بن كنعان بن سام بن نوح فالامازيغ أبناء عم العرب والفنيقيون وهم قوم أشراف يدعون أنفسهم الأمازيغ أي السادة الأحرار وكانوا يرعون الماشية ويلبسون البرانس من صوفها وجلودها ويأكلون لحومها مع ما تنبت لهم الأرض. وأغلب سكان أوراس ينتمون إلى الامازيغ ويعرفون بالشاوية ، ويتكون سكان الاوراس بدورهم من عدة قبائل منها: أولاد عبدي وبني بوسليمان وأولاد داود التوابة وبني اوجانة وأولاد سلام وأولاد زيان وقبائل أحمر خدو وأولاد فاطمة وقبائل النمامشة وأولاد سلطان والغواسير والسراحنة والشرفاء وبني فرن.....وينقسمون إلي عرب و امازيغ .

3) وافية نفطي، الرواية الشفوية بين المقاربة العلمية والضرورة الحتمية في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية 62/54، ملتقي وطني بجامعة باتنة –الجزائر– حول – إشكالية كتابة التاريخ الثورة بين المصادر الرسمية والذاكرة الحية – المنعقد يوم 09 / 10 نوفمبر 2015،ص،

4) ميري عبد زيد عبد الحسين و أ.م.د. جبار رشك شناوة، «مدى استعمال التاريخ الشفوي كمدخل من مداخل تدريس مادة التاريخ في المرحلة الثانوية من وجهة

نظر مدرس ومدرسات هذه المادة»، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد 9، العددان 3 و4 سنة 2010، ص، 177

5) لالا فاطمة نسومر: ولدت لالا فاطمة في 1246هـ / 1830م ونشأت نشأة دينية . وكان لها أربعة أخوة ، أكبرهم سي الطاهر ، تولت أمور الزاوية الرحمانية بعد وفاة والدها .كسرت لالا فاطمة نسومر القاعدة بمقاومتها للاستعمار بعد أن كانت مقتصرة على الرجال فقط ، وقاومت زحْف الجيش الفرنسي في بلاد القبائل حيث كانت متابعة للأوضاع وللأحداث في المنطقة خاصة بعد معركة « ثادميت » التي قادها المجاهد « الحاج عمر بن زعموم » ضد قوات الجيش الفرنسي عام 1844، ورغم تصوفها وتبحرها في أمور الدين لم تكن غافلة على تمركز الفرنسيين في تيزي وزو بين 1845 و1846 وفي « دلس » ثم محاولة الجنرال « راندون » دخول « الأربعاء ناث ايراثن » عام 1850، والتي هزم فيها هزيمة منكرة ، وشاركت بجانب بوبغلة في المقاومة والدفاع عن منطقة جرجرة وفي صد هجمات الاستعمار على الأربعاء ناث ايراثن وقطعت عليه المواصلات ، ولهذا انضم إليها عدد من قادة الأعراش وشيوخ الزوايا والقرى .

وأشهر معركة قادتها فاطمة نسومر هي تلك المعركة التي خاضتها الى جانب الشريف بوبغلة في مواجهة الجيوش الفرنسية الزاحفة بقيادة الجنرال روندون وماهون ، فكانت المواجهة الأولى بربوة « تمزقيدة » حيث أبديا مقاومة بالغة ،

لكن عدم تكافؤ القوات عدداً وعدة اضطر الشريف بوبغلة للأخذ بنصيحة فاطمة نسومر للانسحاب نحو « بني يني » ودعيا للجهاد المقدس ، فاستجاب لهما شيوخ الزوايا ووكلاء مقامات أولياء الله ، فجندوا الطلبة والمؤيدين وأتباعهم واتجهوا نحو «واضية» لمواجهة زحف قوات الاستعمار بقيادة « راندون ويوسف المملوك» ومعهما الباش آغا الخائن الجودي ، فاحتدمت المعركة ، وتلقت قوت العدو هزيمة نكراء ، وتمكنت فاطمة نسومر من قتل الخائن الجودي بيدها ، واستطاعت أن تنقذ من موت محقق رفيقها في السلاح الشريف بوبغلة ، حينما سقط جريحاً في المعركة ، الرغم من الهزيمة التي منيت بها قوات «راندون» فإن ذلك لم يمنعه من مواصلة التغلغل بجبال جرجرة ، فاحتل «عزازقة» عام 1854، ووزع الأراضي الخصبة على المستعمرين القادمين معه ، وأنشأ معسكرات في كل المناطق التي تمكّن منها ، وواصل هجومه على كل المنطقة ، وهذا كله لم يمنع لا لا فاطمة نسومر من إكمال مشوارها في المقاومة ، فحققت انتصارات بنواحي «يللتن» و«الأربعاء» و«تخبت» و«عين تاوريغ» مما أدى بالجيش الفرنسي لطلب قوات إضافية ، فاضطرت على إثرها إعطاء الأوامر بالانسحاب بقواتها إلى قرية «تاخليجت ناث عيسي» لا سيما بعد اتباع قوات الاحتلال أسلوب التدمير والإبادة الجماعية بقتل كل أفراد العائلات دون تمييز . ولم يكن انسحاب لا لا فاطمة نسومر انهزاماً وانما لتكوين فرق سريعة من المجاهدين لضرب مؤخرات العدو وقطع طرق المواصلات والإمدادات عليه ، وهذا ما أربك قوات الفرنسيين وعلى رأسهم الجنرال راندون المعزز بدعم

قوات الجنرال «ماكماهون» القادم من قسنطينة ، وخشي هذا الجنرال من تحطم معنويات الجنود فجند جيشاً قوامه 45 ألف جندي بقيادته الجنرال «ماكماهون» صوب قرية «آيت تورغ» حيث تتمركز قوات فاطمة نسومر المتكونة أساساً من جيش من المتطوعين قوامه 700 فرداً ، ولما احتدمت الحرب خرجت لالا فاطمة نسومر في مقدمة الجميع وهي تلبس لباساً حريرياً أحمر كان له الأثر البالغ في رعب عناصر جيش الاحتلال ،وعلى الرغم من المقاومة الباسلة فإن الانهزام كان طبيعياً مما دفع لالا فاطمة لطرح مسألة المفاوضات وإيقاف الحرب ، لكن السلطات الفرنسية نقضت العهد وغدرت بالوفد المفاوض وتم اعتقالهم بمجرد خروجهم من المعسكر ثم أمر الجنرال بمحاصرة فاطمة نسومر وتم أسرها . وخشية من الثورة مجدداً ببلاد القبائل أبعِدَتْ لالا فاطمة نسومر مع 30 شخصاً من رجال ونساء لبني سليمان بتابلاط وبقيت لمدة سبع سنوات تحت الإقامة الجبرية إلى أن توفيت رحمة الله عليها وهي لم تتجاوز 33 سنة بعد مرض عضال تسبب في شللها .

6) مصطفي بن بولعيد : (1917-1956) هو أحد مفجري الثورة الجزائرية 1954 ، قائد المنطقة الأولى "الأوراس"، التحق بحزب الشعب بعد أحداث 08 ماي 1945م، وانظم إلى المنظمة الخاصة عند تأسيسها، وكان من مؤسسي اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وترأس اجتماع الـ22. أسر بالحدود

التونسية الليبية، ثم فر من سجن الكدية بقسنطينة في 1955/11/10م، واستشهد يوم 22 مارس 1956 بجبل الأزرق بضواحي نارة.

(7) محمد الطاهر عزوي، الثورة الجزائرية، أحداث وتأملات، جمعية أول نوفمبر، 1994، ص 51.

(8) وهيبة سعيدي، الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح 1962/1954، دار المعرفة ، ص ص 23،24.

(9) يوسف مناصرية، "قوات جيش التحرير الوطني المتمركزة على الحدود الشرقية"، نشأة وتطور جيش التحرير الوطني، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2005م، ص 121.

(10) الشهيد مصطفى بن بولعيد، المتحف الوطني للمجاهد ، سلسلة الثورة الجزائرية 1962/1954، ص 71.

(11) عمار ملاح، محطات حاسمة في ثورة نوفمبر 1954، دار الهدي للطباعة والنشر ، عين مليلة ، الجزائر ، 2012 ، ص 110.

(12) محمد الصغير هلايلي، شاهد علي الثورة في الاوراس ،دار القدس العربي، 2013 ، ص 77.

(13) Les archives d'outre mer – aix-en provence- Boit n° $6SAS_{15}$→ Constrution des

S.A.S. 1956.1962. Medina –Teniet, Tifelfel et Tikout.

14) رشيد زبير ، جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة (1956-1962) ،الجزائر: دار الحكمة، 2010 ، ص:41 -43 .

15) عمر تابليت ، دور غسيرة في ثورة التحرير ، الجزء الأول ،مطبعة المعارف، عنابة الجزائر ، 2008، ص، 143.

16) بلقاسم زروال، فرسان في الخطوط الأولي صفحات ٌن رحلة الجهاد في الاوراس والصحراء ، دار الاوراسية ، 2012، ص، 14.

17) شهادة المعتقلة ذهبية عبيد الله ، يوم 13/مارس/ 2015،من الساعة 10صباحا إلي 12 زوالا بمدينة باتنة

18) عمر تابليت ، مرجع سابق ، ص، 134،135

19) ذهبية عبيد الله :من مواليد قرية غوفي بغسيرة تزوجت بابن عمها عبيد الله مخلوف الذي يعتبر احد مفجري الثورة الجزائرية في الاوراس إذ شارك مع الثوار في تفجير عملية ليلة أول نوفمبر 1954 بمدينة بسكرة بقطع الطريق والأسلاك الكهربائية علي مدينة بسكرة ووضع قنبلة قرب فندق يؤمه مجندين فرنسيين انفجرت علي مجموعة منهم ، اعتقلت ذهبية عبيد الله بسبب أنها زوجة احد الثوار ووضعت في سجن تفلفال النسوي لأكثر من عام .

20) فرق الحركي: الحركي كلمة تطلق على كل شخص جزائري خائن التحق بصفوف العدو الفرنسي وأخذ على عاتقه كشف أخبار المجاهدين والمناضلين لمساعدة الفرنسيين جيشا ومخابرات على ملاحقة الوطنيين واضطهادهم وقتلهم. ومهما اختلفت الدلالة اللغوية للحركي فإن معناها الاصطلاحي عند الجزائريين هو ببساطة الذين اختاروا الصف الآخر، الصف الفرنسي ووقفوا ضد إخوانهم الجزائريين إما عن كره أو طواعية.

21) اللفيف الأجنبي : مصطلح أطلق علي المجندين غير الفرنسيين في الجيش الفرنسي ، اغلبهم من أبناء المستعمرات الفرنسية من غرب إفريقيا " السنغال ، مالي ، المغرب الاقصي ،تشاد ..." استغلتهم فرنسا كفرق عسكرية في جيشها في الجزائر ، لمواجهة جيش التحرير الوطني الجزائري في فترة 1962/1955 .

22) لقاء مع المعتقلة ذهبية عبيد الله يوم 13/ مارس /2015 بمدينة باتنة ، من الساعة 10صباحاالي 12 من منتصف النهار .

23) لقاء مع المعتقلة جمعة سليماني يوم 20ديسمبر 2015 بغسيرة ، من الساعة 9الي 11 صباحا .

24) شريط مسجل عن معتقل تفلفال النسوي إبان الثورة التحريرية ، من إنتاج المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية والثورة التحريرية ، إخراج كمال غضبان .

25) شهادة فاطمة زغدودي ، شريط مسجل عن معتقل تفلفال النسوي ، مصدر سابق .

26)شهادة ذهبية عبيد الله ، مصدر سابق .

27) عمر تابليت ، مرجع سابق ،ص ص، 137، 142.

28) شهادة جمعة سليماني، مصدر سابق .

29) شهادة فاطمة زغدودي ، مصدر سابق .

30) شهادة ذهبية عبيد الله ، مصدر سابق .

31) إبراهيم بيضون ، مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية، دار المؤرخ العربي، 1995، ص.127